

الخميس 24-11-2011

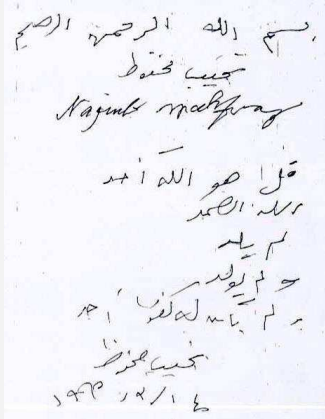
1546-قراءة في كراسات التدريب



قراءة:

في كراسات التدريب  
(نجيب محفوظ)

ص 45 & 46 من الكراسة الأولى



"الله الصمد"

ولم يلد

ولم يولد

ولم يكن له كفوا أحد"

\*\*\*

## القرائة

أمس (الصفحة "44" 1995/3/3) تدرب شيخنا بسورة الفاتحة، كاملة، وحدها، واليوم (1995/3/14) ثاني يوم مباشرة، قرأ سورة الصمد، أعنى كتب سورة الصمد، أقصد تدرب بسورة الصمد، تماما كما نفعل في الركعتين الأوليين من كل صلاة، ما وصلنى منه دائما هو فكرة ظلت تراودنى وأنا معه، وأنا أقرأه، وأنا أتذكره، **وهي أن الحياة ليست إلا صلاة، وما الصلاة إلا حياة**، ثم إننى انتبهت أنه لما حضرته الفاتحة أمس أكملها دون أن يضيف إليها، ولا أن يتوقف دون تمامها، هذا نفس ما حدث اليوم مع سورة الصمد، وكأن هذا الحضور القرآنى المباشر - دون أن ينقص من غيره- يسحبه بكل ما هو إلى كل ما هو، فهو يمتلئ به بالقدر الذى يملؤه!

بحث فيما سبق من تدريبات حتى الآن، فوجدت أن الآية الأولى من هذه السورة (قل هو الله أحد) قد وردت في صفحة التدريب رقم 17 قبل ذلك بتاريخ 1995/2/12، لكنه لم يكمل السورة بعدها، كما أنها وردت متوسطة بشكل هندسى جميل (أنظر آخر النشرة) أما هنا فقد وردت سورة الصمد كلها بعد كتابة اسمه بالانجليزية، ربما توقيعه، الذى جاء بعد البسملة، فاكتفيت هناك وأنا أختم بأن أعد بالعودة متى أتيت الفرصة، حيث قلت بالحرف الواحد "أما حضور آية التوحيد هنا مضيئة متوسطة هكذا وما يتفرع من ذلك من احتمالات، وما تحمله هذه الآية وتداعياتها من معانى التوحيد كما ناقشته معه مرارا، فقد أعود إليه في فرص أخرى غالبا"، ويبدو أن الفرصة قد سنحت اليوم بعد 28 صفحة

المعنى الذى يصلنى من هذه السورة هو رسالة متكاملة لا تكون هي لو أنى بحثت عن معنى كل لفظ على حدة، أو كل آية على حدة، هذا المعنى هو أقرب إلى التوحيد، حتى أنى كنت أحسب أن اسمها سورة التوحيد كما جاء في قراءتى صفحة 17، بل إننى أخطأت هناك وأنا أسميها "آية" وليست سورة، ربما لأنها وصلتنى متناغمة في مقطع واحد معاً، لا أعرف لماذا ما يصلنى من هذه السورة هو التوحيد أساساً، أعنى نفى الشرك، قبل، وربما بعد، الإخلاص. أنا لا أنسى أن اسمها الإخلاص، ولكن ما يصلنى من الذاكرة هو غير ما يحضرنى من نبض الوعى، بحثت عن من الذى سُمى سور القرآن الكريم فاختلفت الآراء حتى قيل أن بعض الصحابة شاركوا في ذلك.

قبل أن استطرد في ما أحاول أن أجنبه أرجع إلى محاولة فهم النقلة بين اسمه بالإنجليزية وبين تدريبه الموجز اليوم بهذه السورة، فأتصور، دون حماس أو اقتناع كاف، أنه ربما انتبه إلى بُعد أصحاب هذه اللغة الأوربية الأولى عن المعنى المحورى الذى يمثل ثقافتنا التى ينتمى إليها شيوخنا أساساً، والتى تجعل هذا الحضور المحورى لله سبحانه وتعالى هو المبتدأ والخير، دون الانفصال عن الواقع والتفاصيل، أقول ربما، فأنا

مشغول هذه الأيام بهذه الفكرة الأساسية التي أريد بها أن أبين كيف يمكن أن يكون في الإسلام الذي أشار إليه شيخي في رسالته إلى ندوة الأهرام بعنوان: "نحو مشروع قومي حضاري" (نشرة 2010/5/20 العدد: 993 "في شرف صحبة نخب محفوظ") أن تكون فيه إضافة حضارية جديدة يحتاجها كافة الناس الآن. وقد بلغني أنه جاء في هذا الرأي الذي أرسله للندوة قوله ما معناه: "... إن السبيل إلى نهضتنا هو الإسلام" فسألته عن صحة ذلك بعد أن استنكره بعض أعضاء لجنة الثقافة العلمية الذين كانوا حاضري الندوة، فقال لي إنه قال ذلك رابطاً إياه بأن يتم "هذا في حوار مع معطيات العلم والآراء الأخرى"، وتناقشنا حول كيف أن استعمال كلمة الإسلام تعني عند كل واحد معنى مختلفاً عن ما تعنيه عند الآخر... الخ.

ما أقدمه هذه الأيام (نوفمبر 2011) والساحة السياسية "تضرب تقلاب" هو محاولة عرض كيف يكون الحل هو الإسلام حين لا يقتصر اسهام الإسلام طريقاً للإيمان على الإسلام بالمعنى المغلق، وإنما بالمعنى المطلق، إذا سألتني سائل عن ماذا كان يشغل وعي شيخي محفوظ محورياً وجوهرياً، لأجبت على الفور إنه الله عز وجل، وقد رجعت في عجالة الآن إلى بعض ما كتبه جورج طرابيشي، ود.محمد حسن عبدالله، وغالي شكري، ثم خالد عاشور، كعينات سريعة، فوجدت بعض ما يؤيدني بشكل خفيف، وبعض ما يسخر من تعسفي، وتذكرت اتهام بعض أصدقائه لي بأنني أفرض على شيخي، أو أفترض فيه، ما يتفق مع رؤيتي له أو مع رؤيتي أنا، وليس ما هو حقيقته.

بمجرد أن أقرأ "ولم يكن له كفوا أحد" تحضرنى الآية "ليس كمثل شيء" وهو الشيعي البصير، فيحضرنى رفض كل من يتعامل مع الوجود الإلهي بفكر مختزل، أو بلفظ لغوي محتقن في معنى جاء في معجم أو غيره. أشعر من هذه الآية، كما كان يصلني من شيخي دائماً بهذا الانفتاح الواعد بكل شيء، الرفض لكل قيد، الذي حل في وعي مولاي النفرى، فسمح له بهذا التلقى، دون ادعاء هبوط الوحي.

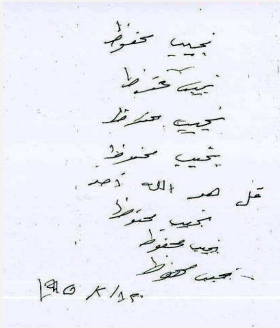
"الله الصمد"، انتبهت إلى أنني جعلت سنين طويلة طويلة أردد "الله الصمد" دون أن أحاول أن أرجع إلى معنى كلمة الصمد لا في أحد المعاجم، ولا في أي تفسير، حتى ولا في هامش مصحف به معاني الألفاظ، يا ترى لماذا؟ لن أجيب لأنني لا أعرف الإجابة، وحين راجعت نفسي الآن جاءتني بعض الإجابة وهي أن لفظ "الصمد" يفيدني بما وصلني منه دون حاجة إلى البحث عن معناه في غيره، من حيث أنه يصلني منه تضفر معاني الكمال والاستغناء والتكامل والتناغم في ذاته بذاته، وكذا معنى الفيض علينا دون الحاجة إلينا، فتحضرنى مباشرة أنه "ليس كمثل شيء"، وأنه سبحانه "لا تأخذه سنة ولا نوم"، فأرجع إلى تعدد الذات في التركيب البشري، وهو الأساس الذي أمارس به مهنتي معظم الوقت، فأعرف معنى الوحدة الغاية، في مقابل السعي التعدد، فهو الغاية القائمة بذاتها التي تملأ الوعي إلى المطلق دون أن نتعرف إلا على الحركة إليها سعياً، عرفت

أن الطريق إليه إنما يكشف عن بعض الطريق التالى إليه، وهكذا، وهكذا، فأتذكر شغل محفوظ الشاغل وبالذات من رواية "الطريق" حتى المعلم عبد الدايم في أصداء السيرة (فقرة 27) مروراً بزعلواى، وأرجح أن هذه السورة (الصمد) حين حضرت هكذا بكلها هي هدية يمكن أن نتعلم منها في هذا السياق بهذا الجمال من هو نجيب محفوظ الذى اتهم بما اتهم به، غفر الله لمن رحل، وأنار بصيرة من بقى، وجزى شيخنا عنا خيراً.

حضور ربنا في وعينا بهذه التلقائية كما وصلتني من هذه الصفحة هو حضور لا يعرفنا بربنا بما نعرفه عن خبره أو عن ما يكون عنه، حتى أسمائه الحسنى هي أسماء وليست هو. أحضر محفوظ هذه السورة فتجلت لي سورة الكمال في أقدر وأجمل تجلياته، الآن يحق لي أن استعين بالمصادر: الصمد هو الكمال في علمه، الكمال في حلمه، الكمال في عزته، الكمال في قدرته، إلى آخر ما ذكر في الأثر. وهذا يعني أنه مستغن عن جميع المخلوقات لأنه كامل وعلى هذا فيكون المعنى الجامع للصمد هو: الكمال في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته .

حين حضرت أول آية في هذه السورة "قل هو الله أحد" في تدريب صفحة 17 يناير في 12/2/1995 حضرت دون بقية السورة، حضرت وحدها، بتشكيل خاص، يسبقها اسمه أربع مرات، ويلحقها اسمه ثلاث مرات، مما يستحق أن نرصده ثانية هكذا:

#### نجيب محفوظ (تدريب ص 17)



نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

قل هو الله أحد

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

1995-2-12

فوصلتني الصورة ، وليس فقط الألفاظ بما يؤيد - وليس بالضرورة يؤكد- ما وصلت إليه في قراءتى اللاحقة هذه بعد 28 صفحة .

\*\*\*\*

**ملحوظة:** الصفحة التالية، أى صفحة ( صفحة "46" ) من صفحات التدريب كانت هي صورة الصمد إلا أنه لم يكتب اسمه بالإنجليزية ولا بالعربية قبلها، ودخل مباشرة إلى كتابة السورة بأكملها كما لم يكتب بعدها اسمه إلا مرة واحدة .

كأن به مازال يعيش في رحاب هذه السورة ليومين متتاليين بما ذكرنا وبما لم نذكر.

أما تلك الفروق فقد تعنى شيئاً وقد لا تعنى، لكنها أفادتني بأنها تعنى مما لا أحتاج أن أذكره وأكتفى بذكر إحاطة هذه الصورة الموحدة بوعى شيخى يومين متتاليين هكذا.

\*\*\*\*

### ص 46 من الكراسة الأولى

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

-----

قل هو الله أحد

الله الصمد

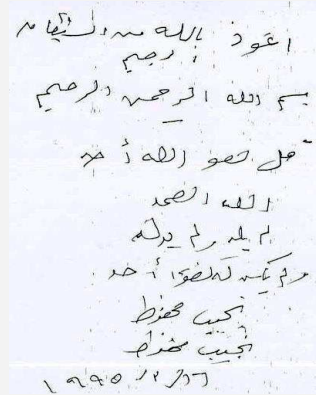
لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا أحد

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

1995/3/16



وهكذا ننتقل الأسبوع المقبل إلى صفحة التدريب رقم 47 مباشرة.